**أولا: البنيوية التكوينية في النسخة الغربية :**

**1/المصطلح والمفهوم : البنيوية التكوينية** هي ترجمة للمصطلح الفرنسي Le structuralisme génétique، يستعير **غولدمان** مصطلح Le structuralisme génétique من العالم النفساني والبنيوي الفرنسي **جان بياجيه** .

جمع **غولدمان** في بنيويته التكوينية بين الدراسة الداخلية والدراسة الخارجية للنص الأدبي، ينبغي الانتباه إلى أن المسعى الذي بدأه **غولدمان** كان هو البحث عن كيفية تكون العمل الإبداعي (النص الأدبي عموما والروائي بصفة خاصة) داخل المجتمع ، وساقته منهجيته في مسعى البحث عن **رؤية العالم** إلى تأطير مجموعة من المفاهيم والإجراءات شكلت في مجموعها توجها منهجيا نقديا يعرف **بالبنيوية التكوينية**، وبهذا يمكننا القول أن البنيوية التكوينية بدأت كنظرية أدبية وانتهت إلى منهج نقدي .

حاول "**غولدمان**" أن يفيد من خلال هذا المنهج الذي يتسم بالشمولية من البنيوية . وهو بذلك لا يهدف إلى الكشف عن **البنية الأدبية** فحسب ، وإنما عن العلاقات البنيوية بين النص الأدبي ورؤية العالم والتاريخ نفسه، بالكشف عن الكيفية التي تتم بواسطتها عملية تحويل موقف تاريخي لمجموعة اجتماعية إلى بنية عمل أدبي، عن طريق **رؤية العالم** التي تتبناها هذه المجموعة.

**2/ بين البنيوية التكوينية والشكلية:**

أشار **"غولدمان**" إلى أن المنهج البنيوي التكويني يختلف عن المنهج البنيوي الشكلي في تصور كل منهما للبنية، يقول **غولدمان**" **تحمل كلمة بنية للأسف انطباعا بالسكون ، ولهذا فهي غير صحيحة تماما ، ويجب ألا نتكلم عن البنى لأنها لا توجد في الحياة الاجتماعية الواقعية إلا نادرا ولفترة وجيزة، وإنما عن عمليات تشكل البنى**".

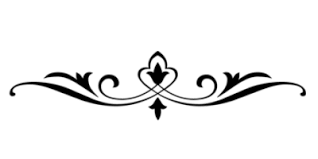
|  |  |
| --- | --- |
| **البنيوية التكوينية** ترى أن البنية ليست كيانا مغلقا، إنها ذات دلالة وظيفية وغير معزولة عن الذات الفاعلة والتاريخ. | البنيوية الشكلية فإنها تفصل البنية عن الذات والتاريخ وعن كل البنى الاقتصادية والاجتماعية. |

ويعترف "**غولدمان"** بأهمية وفعالية البنيوية الشكلية كمنهج، لكن مأخذه عليها يتمثل في تعاملها مع الأدب تعاملا يستمد أدواته ومفاهيمه الإجرائية من اللسانيات، مما يؤدي إلى اعتبار النص كيانا لغويا مغلقا تنعدم علاقته مع البنية الاقتصادية والاجتماعية.

**3/أسس البنيوية التكوينية:**

يستهدف **لوسيان غولدمان** من وراء **بنيويته التكوينية** رصد **رؤى العالم** من الأعمال الأدبية الجيدة عبر عمليتي **الفهم والتفسير** بعد تحديد **البنى الدلالية** في شكل مقولات ذهنية وفلسفية. ويعد المبدع في  النص الأدبي فاعلاً جماعياً يعبر عن وعي طبقة اجتماعية ينتمي إليها، وهي تتصارع مع طبقة اجتماعية أخرى لها تصوراتها الخاصة للعالم. أي إن هذا الفاعل الجماعي يترجم آمال وتطلعات الطبقة الاجتماعية التي ترعرع في أحضانها، ويصيغ منظور هذه الطبقة أو **رؤية العالم** التي تعبر عنها بصيغة فنية وجمالية تتناظر مع الواقع.

|  |  |
| --- | --- |
| **1/ البنية الدلالية** | هي تلك المقولة التي تخترق كيان النص باعتبارها رؤية يصوغها النص بشكل جدلي وهي البنية التي يصادفها الباحث أولا ، فتمنحه بطابعها الشمولي فهما أعمق للخلفية الإيديولوجية، والفكرية للمجتمع أو الفئة الاجتماعية المعبر عنها. |
| **2/ الفهم والتفسير** | يعد **الفهم والتفسير** مفهومين إجرائيين مترابطين ومنفصلين في آن واحد ، يشتغل الأول على المستوى الداخلي للنص، والآخر على المستوى الخارجي. |
| **3/ الوعي القائم**  **والوعي الممكن** | **الوعي القائم** هو وعي ناجم عن الماضي بمختلف أبعاده وظروفه وأحداثه ، عندما تسعى كل مجموعة اجتماعية لفهم واقعها انطلاقا من ظروفها الواقعية الاقتصادية والفكرية والمعتقدية ...الخ ، أما **الوعي الممكن** مرتبط بالحلول الجذرية لمشكلات |
| **4/رؤية العالم** | يعرف "**غولدمان**" **"رؤية العالم** " بقوله : " **إن الرؤية للعالم هي بالتحديد، هذه المجموعة من التطلعات والإحساسات والأفكار التي توحد أعضاء مجموعة اجتماعية، وفي الغالب أعضاء طبقة اجتماعية، وتجعلهم في تعارض مع المجموعات الأخرى"**  **رؤية العالم** تتجاوز ما هو واقع إلى ما هو مستقبلي، وما دامت الأعمال الروائية الكبرى تتميز بشمولية الرؤية ، فإنها هي وحدها التي تمتلك **رؤية العالم**. هذه الرؤية التي تعتبر في الواقع تعبيرا كليا وشموليا عن قيم وطموحات ومشاعر الجماعة التي تؤمن بها. |



**ثانيا /البنيوية التكوينية في النسخة الغربية :**

**1/إشكالية ترجمة مصطلح :** ينبغي الإشارة قبلا إلى أن الأبحاث الغربية تتفق على توظيف مصطلح واحد لمفهوم واحد structuralisme génétique ، تطرح إشكالية المصطلح نفسها حيث أن النقاد والباحثين العرب المشتغلين في هذا الحقل المعرفي لم يستقروا على توظيف مصطلح واحد، هو ما يعكس تباين مواقفهم واختلاف تصوراتهم للمفهوم والمصطلح، ولعل المصطلحات الأكثر شيوعا لديهم هي : البنيوية التكوينية ، البنيوية التوليدية ، البنيوية التركيبية ، والبنيوية الدينامية .

2/ تطبيقات البنيوية التكوينية في النقد العربي.

أ/ تجربة "**محمد بنيس**" في كتاب ( ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب -مقاربة بنيوبة تكوينية)

* حاول "**محمد بنيس"** في -بيانه المنهجي- أن يقدم مبرراته المنهجية التي دفعته إلى اختيار البنيوية التكوينية لمقاربة الظاهرة الشعرية المعاصرة في المغرب. فذكر منها انغلاق البنيوية (الشكلانية) على نفسها، مما جعل بعض الاتجاهات النقدية ترفض الانسياق وراءها.
* يؤكد "**محمد بنيس**" على أن المنهج البنيوي التكويني لا ينحصر في  دراسة المضمون دون الشكل، بل إنه يعتبره المنطلق الأساس لدراستهما له
* الباحث رأى منهجي في المنهجين  البنيوي الشكلي  والاجتماعي الجدلي بديلا عن المنهج البنيوي التكويني، وإذا كان المنهج الاجتماعي لم يمكن الباحث من القبض على (البنية العميقة الدالة) وأن المنهج البنيوي الشكلي لا يساعد على استيعاب البنيات اللغوية . فإن الباحث يوهمنا بالفهم بأن الجمع بين المنهجين هو السبيل الموصل إلى بر الأمان.
* وهناك مسألة أخرى تتصل بالمنهج الذي اعتمده "محمد بنيس" وهي عدم تقيده بما هو منظومة متكاملة من مبادئ ومفاهيم وأدوات إجرائية.
* حاول "محمد بنيس" أن ينسج منهجه على من منوال المنهج "**الجولدماني"** حيث انطلق من مرحلة (الفهم)  التي تجسدت في تحليله للمتن الشعري المعاصر في المغرب في عدة مستويات، فقرأ البنية السطحية للمتن الشعري قراءة لغوية( عروضية لسانية دلالية ) ، ليصل إلى الوحدات الدالة (البنية الجزئية ) التي أدمجها في بنية أكثر اتساعا من الأولى و(البنية العميقة) التي اعتبرها الباحث في منزله (الرؤية للعالم). وكما هو واضح أن الباحث انطلق من المعلوم ليقف عند ما هو مجهول.
* أما مرحلة التفسير التي اصطلح عليها الباحث [خارج داخلي]  ليدل على "بنية أكثر اتساعا من الثانية حيث النص الغائب الذي يستحيل إلغاؤه، ونحصل من خلاله على مستويات من علاقات الاختلاف والائتلاف، ولكن هذا الخارج الداخلي يتمثل في البعد الاجتماعي الجدلي للمتن أيضا".

ب/ تجربة " يمنى العيد " في كتاب (في معرفة النص)

* **على المستوى النظري** : يشير عنوان الدراسة التي قدمتها **يمنى  العيد** عن البنيوية وعن الواقعية إلى المنظور النقدي للباحثة عن تصورها المنهجي للبنيوية التكوينية.  وهو منظور يدل على قصور الباحثة في فهم المنهج "**الغولدماني"** . إذ تصورته على أنه تركيب بين منهجين كما رأينا عند "**محمد بنيس".**
* أما على مستوى التطبيق حيث تبرز الفجوة القائمة بين التنظير والتطبيق، فقد انكشف عن الممارسات النقدية التي أنجزتها الناقدة، أنه يصعب على الباحث تحديد طبيعتها وهويتها النقدية، إذ حاولت تجريب مفاهيم (الكلية والإيقاع الداخلي والرؤية) على مقاطع شعرية "**لمحمود درويش**" فقاربت عنصر الإيقاع من خلال عدة مستويات والشاهد هنا أن الباحثة ظهرت في ثوب البنيوي الشكلاني إنما توقفت عند عنصر الإيقاع الداخلي باعتباره مصدرا للموسيقى ومصدرا للدلالة، وكان تركيزها على (الإيقاع الداخلي) لأنه "جذع مشترك تلتقي فيه دلالات عدة في النص" وكأني بالباحثة في ممارستها هذه كانت تجرب مفهوما أكثر مما كانت تجرب منهجا نقديا حيث عزلت النص عزلا تاما، وحصرت كل شيء في عنصر واحد.

ج/ تجربة " **الطاهر لبيب** " في كتاب (سوسيولوجيا الغزل العربي /الشعر العذري نموذجا).

* تعد قراءة "**الطاهر لبيب"** من الدراسات المبكرة التي تبنت المنهج البنيوي التكويني، فضلا على أن صاحبها قارب ظاهرة شعرية عربية لأول مرة، والشعر من الأجناس التي نادرا ما دخلت مجال التجريب والممارسة النقدية من المنظور البنيوي التكويني، بل هو من الأجناس المستعصية على الدراسة في نظر بعض الباحثين وعموما.
* يعد "**الطاهر** **لبيب**" من أبرز النقاد العرب الذين تمثلوا المنهج البنيوي التكويني، الأمر الذي مكنه من أن يحدد رؤية شاملة عنه، يعد منهج "**الطاهر لبيب"** ثمرة قراءات واسعة في أصول البنيوية التكوينية حيث كيّف خطواتها الإجرائية مع طبيعة الشعر العذري العربي، واقتصر على "ما هو جوهري من خطوات "**لوسيان** **جولدمان"** البنيوية التكوينية.
* يمكن اعتبار الأبواب الثلاثة الأولى هي مرحلة (الفهم) للبنية العميقة الدالة للشعر العذري، واقتضت هذه الخطوة من الباحث،- بهدف تحقيق مستوى الفهم – البحث عن " الجوهر" أي البحث عن العلاقة بين اللغة العربية، بوصفها نظاما ، ليخلص إلى أن التعارض بين الرجل والمرأة كان اللسان العربي قد أقامه.
* لقد كان هدف الباحث فهم العلاقة بين الرجل والمرأة في حياة العرب ولم يتمكن من ذلك إلا عن طريق آلية (التماثل) التي ساعدته على تمثلها في نظام اللغة انفسه، أي أن نظام اللغة العربية جسد حقيقة هذه العلاقة، لأن فهمها –منهجيا- يمكن من تمثل رؤية الشاعر العذري وهي رؤية تعكس الحرمان الاجتماعي في سورة الحرمان من المرأة.
* في المستوى الثاني من المقاربة "للبنية العميقة الدالة" ركز الباحث على مسألة منهجية أساسية في المنهج التكويني وهي مسألة تحديد البنية الدالة مقاربتها، كما اصطلح عليها "**الطاهر لبيب"** وهو في هذا الإجراء يحذو حذو "**جولدمان"** في أبحاثه النظرية والتطبيقية ومن هذا الباب كانت نظرة الباحث نظره تحديديه شمولية، يؤكد عليها في قوله" إن النتاج الشعري الذي نحن بصدده يشكل كلية متماسكة"
* انطلاقا من مبدأ التماثل بين الكون الإبداعي والعالم الواقعي وليس انطلاقا من جدلية الانعكاس الآلي ربط **الطاهر لبيب** بين الفخر  وموضعة المرأة،  تفسير ذلك أن الفخر يتأسس على القدرة على (التملك)، والمرأة موضوع التملك الوحيد إلى مجال للتنازل عنه.
* إن الخطة الإجرائية التي رسمها الباحث مكنته من دراسة (البنية الشاملة)، محاولة لفهم (البنية الجزئية) للشعر العذري ، وهذه خطة إجرائية وجيهة، إذ لا يفهم الخاص، إلا بمعرفة العام، ولهذا عاد الباحث إلى موضعة النسيب باعتبارها موضعة لها صلة بالشعر العذري، فما النتيجة الأولية التي توصل إليها الباحث أن ظهور الشعر العذري لم يكن تأثرا بالإسلام، إنما كان من أسباب التهميش والحرمان الاجتماعي المرتبطة بالظروف الاقتصادية التي عاشها شعراء الكون العذري، ودراسة شعراء هذا الكون اقتضت منهجيا النظر في العلاقة بين سمات المذكر وبين البنية الذهنية للمجتمع العربي التي أدت إلى تطور العلاقة الرجل / المرأة وتتغير كثير من المفاهيم.
* المستوى الثالث من مرحلة الفهم كانت مركزة على الكون العذري وفي هذه المرحلة ظهرت ملامح المنهج **الجولدماني** حيث أعاد الباحث تعريف كثير من المفاهيم، ومنها مفهوم (العمل الأدبي) الذي أخذ وجهة نظر البعد السوسيولوجي، وعن طريق مبدأ (ا**لتماثل**) بيّن الباحث أن الإسلام (**السبب**) لا علاقة له بالعفة (**النتيجة**) الصراع بين الجمالي/ والعفة صراع (**مأساوي).**
* لفهم (البنية الدالة) للكون الشعر العذري استبعد الباحث مفهوم (**الانعكاس**) بين الكون العذري وبين معطيات الواقع الاجتماعي والتاريخ، ولم يجد بدا من بعد "**التماثل**" لتقييم العمل الأدبي، دون عزله عن سياقه ليصل إلى تقييم من مؤداه أن الكون الشعر العذري لا علاقة له بالعقيدة الإسلامية، إنما بالظروف الاجتماعية التي كانت السبب في الحرمان الاجتماعي الذي عرفه الشاعر العذري، واعتقد أن هذا التفسير على الرغم من صرامته إلا أنه ليس بريئا، ففيه تحامل على الإسلام فكيف يقبل الباحث بتأثير جميع العناصر الخارجية لفهم الكون الشعري العذري، ويستثني الإسلام بوصفه فاعلا مؤثرا ومكونا بانيا في معطيات الواقع الاجتماعي والتاريخي للعصر الذي عاش فيه الشعراء العذريون.
* وتميزت الخطة التي انتهجها الباحث بالانطلاق من العام إلى الخاص أي من البنية الشاملة المتمثلة في العصر الذي عاشت الزمرة العذرية إلى البنيات الصغرى ليستخلص إجابة على سؤاله الجوهري لماذا نشأ هذا الكون الشعري بالذات، إن التفسير الذي توصل إليه **الطاهر لبيب** شبيه بالتفسير الذي جاء به **جولدمان** في كتابه (الإله الخفي) ، حيث إن التهميش الاجتماعي والثقافي الذي تعرضت له الزمرة العذرية مرتبط بالهامشية الاقتصادية وهي التي أدت إلى تصور أن (الحب العذري) يماثل في حرمانه الحرمان الاجتماعي، وهو مظهر من مظاهر الوعي الذي حاولت أن تتجاوز به وضعيتها المأساوية.

**د/تجربة " حميد لحميداني "في كتاب (الرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي /دراسة بنيوية تكوينية )**

* تتميز تجربة **حميد الحميداني** المعنونة (بالرواية المغربية ورؤية الواقع الاجتماعي) بخصوصيات تؤكد أن صاحبها على وعي بالمنهج البنيوي التكويني وعيا تاما، وحاول القيام ببعض التعديلات والإضافات ليخلق انسجاما بين المنهج وطبيعة الإبداع المستهدف .
* كشف **حميد لحميداني** عن موقفه من المنهج **الجولدماني** على مستوى (الفهم) ومستوى (التفسير) بالنسبة للمستوى الأول، أبان الباحث عن تبنيه القراءة الإبداعية التحليلية، التي تسمح بالقبض على (البنية الدلالية) وما تقتضيه من بنى مضمونية، وفي هذه الخطوة كان الباحث وفيا للمنهج **الجولدماني** ، إذ أكد على المنطلقات الأساسية التي اعتمد عليها **جولدمان** في بناء منهجه، نركز على أهم مرتكزات مقاربة **حميد لحميداني:**

**1/** ينفي الباحث في المبدأ الأول أن يكون النتاج انعكاسا آليا للواقع ، وللوعي الجماعي، وهذه مسألة هامة، فلو كان الإبداع كذلك لانتفت صفة استقلاليه وبالتالي صفة التكوين.

2/ إن العلاقة التي تتأسس بين الوعي الجماعي والعمل الفني لا ينبغي أن يحكمها مبدأ تطابق أو الانعكاس، بل ينبغي أن تقوم على (التماثل) أو ا(لتناظر)

3/ إن المبدع مهما كانت عبقريته ليس بمقدوره أن يضع من تلقاء نفسه بنية فكرية منسجمة تقابل ما يسمى برؤية العالم.

4/ التأكيد على أن مبدأ (الوعي الجماعي) ليس حقيقة مستقلة عن الأفراد، إنه وعي يتكون خلال السلوك العام للأفراد في الحياة.

هذه المبادئ وجهت النقد الجدلي إلى الاتجاه البنيوي التكويني باعتبار أن الإبداع ليس من صنع الفرد إنما من صنع الجماعة التي ينتمي إليها، لذلك بين الباحث خطته المنهجية، وهي تلتقي مع منهجية **جولدمان**.

**التصور المنهجي والاشتغال :**

* أكد الباحث على أن عملية (الفهم) والمتمثلة أساسا في تحليل (البنية العميقة الدالة)  عملية أخرى وهي (تفسير) هذه البنية ضمن بنية أوسع، التي تعبر عنها الرؤية.
* وهناك مسألة أخرى تتعلق بالمنهج حيث استعار **حميد الحميداني** بعض الأدوات الإجرائية التي وظفتها البنيوية، يقول "إن ما نجده من ملامح التحليل البنيوي في هذه الدراسة، إنما هو استلهام لبعض المفاهيم الأساسية الأولى التي يعتمد عليها البنيويون"
* يقول **حميد لحميداني** بعد قراءته للرواية المغربية أنها عكست موقفين متباينين بالنسبة للواقع . الموقف الأول هو موقف يعكس المصالحة مع الواقع الاجتماعي، أما الموقف الثاني فينتقد الواقع.
* قام الباحث بتحليل البنية العميقة الدالة لكل رواية من روايات الموقفين، وقد اعتمد على منهجية تكاد تكون نمطية في كثير من الأحيان يركز على تحليل البنية السطحية لكل رواية على حدة، حيث كشف عن العناصر المشكلة للبناء الروائي من (رموز وأحداث وشخصيات إلى آخره...) ، ويلاحظ أن الباحث لم يوازن في تحليله لهذه العناصر فنجده أحيانا يركز على جميعها ،كما هو في رواية (**دفنا الماضي**) "لعبد الكريم غلاب". وأحيانا أخرى يتناول عناصر محدودة من البنية السطحية، إلا أنه كان يحرص أشد الحرص على تحليل العناصر والبحث عن العلاقات التي تربط بينها ، بهدف تأسيس علاقة جديدة تشكل عناصر البنية العميقة والبنية المضمونية.
* من هذا المستوى (الفهم) لتحليل البنية السطحية يستخلص **حميد لحميداني** رؤى المبدعين للروايات، مقارنا الرؤية المستخلصة بما حدده في المدخل السوسيولوجي، بالاعتماد على آلية "**التناظر**" .
* في مجمل القول فإن **حميد لحمداني** قام بقراءة نقدية من المنظور البنيوي التكويني ودلت القراءة لهذه المقاربة أن الباحث التزم بمنهج **كولدمان** فكان وفيا له في مرحلة (الفهم) وفي مرحلة (التفسير) وقد وفق في سياق مقاربة تتسم بالشمولية، فجمع بين الدراسة الفنية والدراسة السوسيولوجية، تحققت بذلك جدلية الفهم والتفسير وعلى الرغم من أهمية التفسير وقيمته إلا أنه كان أقرب إلى التفسير الأيديولوجي. حيث ركز مطولا على إبراز دور الشريحة في حركة الصراع وفق الموقع الاقتصادي، يقول" ولاشك أن تقديم صورة للواقع الاجتماعي وفقا لهذا التصور الجدلي بالذات لا يجعل دراستنا بمنجاة من تأويل إيديولوجي معين" وأكد هذه الملاحظة **محمد خرماش** حيث بين بأن **حميد الحميداني "**في توظيفه هذا المنهج كان أميل إلى التقويم الإيديولوجي منه إلى البحث التكويني"، إن ذلك لا يقلل من شأن المقاربة ومن أهميتها، حيث تبقى في مقدمة الأبحاث النقدية العربية التي تمثلت المنهج البنيوي والتكويني تمثلا شاملا .

